هل يؤدّي ادباء الشيوخ رسالتهم ؟

الآداب تستفتي

هل يؤدّي اعلام الادب الشيوخ ، اليوم ، الرسالة التي يفرضها عليهم واقع بلادهم العربية وحاجاتها ؟

جواب الاستاذ محمد روحي فيصل

أخي رئيس التحرير

أحسب أن وضع السؤال على هذا النحو ، يسوق بلا ريب شيوخ الأدب جميعاً الى قفص الأتهام ! وأنت تعني ما تقول ، ولكني لا أحب لك ولا لغيرك من أدباء الشباب الثائر ان تحاسبوا هؤلاء الأعلام فيما لا يسمح به تكوين نفوسهم ومواهبهم من تصوير المجتمع الكبير الذي يحيون فيه ، ونفض أهدافه ، والتماس الحلول لمشاكله على الوجه الأتم الأكمل .

فلقد نشأوا في بيئات مختلفة متقاطعة محافظة ، واستمعوا الى أصوات خافتة ليست قوية الرنين ولا متجاوبة الاصداء ، ثم نضحوا من ثقافات ينبع اكثرها من الماضي القديم . فامتدت لهذا جذور آدابهم في أراض لا تساعد لغذائها الفقير على التحرر والانطلاق الا من عصم ربك من النفر الأصيل ، وما أقله في الشرق العربي الحديث .

وإذا كانت صورة الكفاح المضطرب للخلاص من الأسارين : الجمود والاستعمار ، تسم طوائف من جماهير الشعب في فترة الثلاثين السنة الماضية ، فلقد حاول بعض الشيوخ من أعلام الأدب اليوم ان يستجيبوا ، بقدر ما تسمح الظروف ، الى نداء الواقع العربي المؤلم او يحققوا شيئاً من مطالبه في الفكر والفن .

على أني أعلم أن من مضى منهم جريئاً عنيداً في النضال الى غايته ، قد وقع صريعاً في منتصف الطريق وسط المعركة ، وهو اليوم ميت او كاليت يلملم في نفسه ذيل الخمول ، وفي اسرته جراح الفقر . وما نجا فيما أعرف من الأدباء الأحرار إلا من صانع او هادن او استسلم .

لست في موقف الدفاع عن أحد من هؤلاء الأعلام الشيوخ . ولكنه التأريخ لفترة الانتقال ، والتقرير لتطور الأدب ، يضطرني كلاهما الى التماس العذر من بعض الوجوه لأدباء الطليعة في العالم العربي .

فأنا كما تعلم غير راض عنهم كل الرضى ، ولطالما جأرت بالشكوى من تخلف ادبهم وقلت انه كان في مكنة الواحد منهم ان ينهض برسالة الإمة العربية باكثر مما نهض ، وأن يظل في حواشي اللهب ولا يحترق . ورحم الله مصطفى صادق الراقعي فهو صاحب هذا القول البارع .

فأن شئت الجواب الواضح على سؤالك الدقيق ، فاسمح لي ان اكون بجانبك ومع إخوانك من كتاب « الآداب » وانصار الالتزام . فأنت تقول هذا في العدد الاول من المجلة ، وسؤالك نفسه يملي علي وعلى غيري الجواب ...

لما كان جميع أعلام الأدب الشيوخ يؤدون في الماضي كل الرسالة التي يفرضها عليهم واقع بلادهم العربية وحاجاتها حتى يمتد بهم الاستمرار فيؤدوها اليوم ايضاً كاملة غير منقوصة . لقد التفتوا الى ذلك مضطرين ، وقاموا بمحاولات شتى ، وقصروا في الجملة عن المدى . وفق بعضهم الى ما يريد ، وفشل آخرون . ولكن احداً منهم لم يلتزم في غاية فنه رسالة الأدب في المجتمع كما تحب وترضى .

والرأي عندي ان هذه الرسالة القومية لايمكن النهوض بها حيال الامة ، العربية وحاجتها من الحياة العالية ، الا في جو من الحرية الاجتماعية والحرية السياسية ، وهي حرية مزدوجة كانت مفقودة فيما مضى ولكنها توفرت اليوم لأقلام الكتاب في مصر وسوريا ولبنان الى حد بعيد ، ولم تتوفر في العراق والاردن والشمال الافريقي إلا بمقدار .

فمن حقك إذن ان تدع شيوخ الأدب يمضون على نحو من الانحاء فيما تركزت عليه ملكاتهم من الوان الفن ، للتفت الى ادباء الشباب فتطلب اليهم أن يقوموا بقسطهم من الواجب نحو البلاد العربية . وأحسب أنهم مؤدون الرسالة المفروضة على خير الوجوه ، لاكتمال الوعي الاجتماعي في نفوسهم ، والتزام الأدب الموجه تحت أقلامهم .

هؤلاء الشباب الموهوبون هم املنا المرتجى وعدتنا في المستقبل . اما اعلام الأدب الشيوخ فحسبهم أنهم مهدوا الطريق وكانوا جسراً للعابرين . وحسبنا أنا قرأنا لهم فأفدنا واستمتعنا وكنا من الأوفياء الصادقين .

جواب الاستاذ عباس خضر

إنهم الآن لا يؤدون هذه الرسالة ، وقد أدوها في مقتبل حياتهم الأدبية على نحو لاءم عصرهم ، ونحن الآن من ثمرات جهودهم تلك ... وبعد ذلك جذبتهم مطامع الحياة ، فرغبوا في المناصب والاموال ، وخافوا فآثروا السلامة . ومن جهة أخرى تطور المجتمع ولم تتغير نظرتهم الى حياة الشعب إذ نشأوا وعقدوا على انهم لسان الطبقة المتوسطة المنطلعة الى الطبقة العالية ، العاطفة على الطبقات العاملة الكادحة عطف المتعالي لا عطف المشارك في الاحساس .

جواب الاستاذ سامي الكيالي

اريد ان أعتقد انني في سؤالك شيئاً من الابهام ، الا اذا اردت من رسالة الاديب ان تكون اداة سحرية تمس كل النواحي التي تتصل بواقع البلاد العربية وحاجاتها من سياسة الى اجتماع ، الى اقتصاد ، الى ثقافة الى ما شئت مما يكون هذا الواقع وتنبثق عنه حاجاته ، وانها ، كالصحافة سواء بسواء .

يخيل الي انك قصدت هذا . واذا كانوا قد ادوا رسالتهم بالامس فما الذي يحول دون ادائها اليوم ، اللهم الا اذا اعتقدت ان شعلة نشاطهم قد خمدت وان حاضرهم لم يعد امتداداً لماضيهم ... وما اظن ذلك ...

فمن ادباء الشيوخ ، كما تعلم ، صحفيون مناضلون قد قاموا بواجبهم نحو البلاد العربية على اكمل وجه ولا يزالون يؤدون هذه الرسالة... ومن ادباء الشيوخ سياسيون وقادة وزعماء قد اتخذوا الادب وسيلتهم للتعبير عما تحسه الجماهير العربية في نضالها وكفاحها وتمردها على الظلم والطغيان... وما زالوا يتابعون رسالتهم ... ومن الادباء الشيوخ خطباء وشعراء قد هزوا ضمير الامة العربية ضد العتاة والمستعمرين وما زالوا يخطبون ويقولون الشعر ... ولن ينسى الشباب قصائد الشعراء الشيوخ الذين لم يتركوا ظاهرة من ظواهر الحياة القومية الا عبروا عنها بجرأة وقوة ... وما نقوله عن الشعراء نقوله عن الادباء ، ولا سيما الذين قادوا حركة التجديد ، فقد سيروا الفكر العربي والادب العربي في نهج قويم سواء بما رسموه من خطط ، او بما ابدعوه من

ادب او بما انتجوه من رسائل وكتب – ان انتاجهم الادبي هو الذي مهد للكثير من التيارات والحركات والثورات والانقلابات التي شاهدتها البلاد العربية في ايامها الاخيرة . واذا لم يشارك بعضهم او اكثرهم ، اليوم في الحركات القومية مباشرة فان البذور التي بذروها هي التي انتجت هذه الحركات، وكما كان ادبهم بالامس خميرة هذه النهضات فأدبهم اليوم مرآة هذه الحركات .

وجوابي بعد هذا الاستطراد ، ان اعلام الادب الشيوخ ، ما زالوا كما كانوا بالامس يؤدون رسالتهم باطمئنان .

جواب الاستاذ شاكر خصباك

إن الجواب على مثل هذا السؤال بـ « نعم » أو « لا » ينطوي على اجحاف بحق طائفة من اولئك الادباء ، ولكن لما كان المطلوب حكما عاماً على اتجاه اغلبيتهم ، فلست اتردد في الاجابة بكلمة « لا » بكل ثقة واطمئنان وكل أسف وألم . فالشعوب العربية الآن تمر بطور عصيب تعاني فيه من الصراع بين الجديد والقديم ، من القلق المتغلغل في نفوس افرادها ، من الاتجاهات السياسية والاقتصادية المتضاربة التي تتجاذبها طوعاً او كرهاً ، من الجوع والمرض والحياة البائسة التافهة، من فساد الاجهزة الحكومية المسيطرة على شؤونها وعقم اساليبها . فكم فرداً من ادبائنا الكبار عكس في ادبه هذه الصور الصارخة ؟ ! لقد شهدت مصر وعشت فيها ردحاً من الزمن ، وكنت اتجول احياناً في احيائها القديمة وأزقتها الضيقة العفنة ، فأتطلع الى بيوتها الواطئة المتهدمة التي تنبعث منها روائح تتقزز منها النفس ، واتصفح وجوه سكانها الصفر واجسامهم الضامرة المعروقة،وأسائل نفسي في عجب : أين ادباء مصر من هذه المادة الدسمة لأدبهم، ولم ينصرفون عنها الى البحث عن الاساطير القديمة والمشاكل الفلسفية البالية والعقد النفسية المزعومة ؟ !

وما قلته عن مصر اقوله عن لبنان وأقوله عن سوريا واقوله عن العراق ايضاً ، وان كان ادباؤه الكبار ، على قلتهم ، قد حاولوا جهد إمكانهم تصوير حياته الاجتماعية بصدق واخلاص .

اننا ، للأسف الشديد لا نستطيع ان نفاخر بأدبنا الحديث ، لأن هذا الادب انفصل عن محوره الاصلي – الشعب – فتجرد بذلك من الروح . فما قيمة الجسد بدون روح ؟ بل انه للسبب عينه فشل في تكوين شخصية خاصة ذات سمات واضحة .

ولست أفهم لماذا لم يتخذ هؤلاء الادباء كتاب الغرب امثولة يحتذون بها.. اولئك الذين كان أدبهم دائماً مرآة تعكس حياة شعوبهم . وإذا لم يتطور أدبنا على أيدي أدباء الجيل الثاني ويرق لمثل تلك المرتبة فسيظل على حاله صفراً الى الشمال بين الآداب العالمية .

جواب الاستاذ محمد النقاش

نعم . ولا ضرورة لان اسلك بضع طرق لأعطي الجواب . فالجواب كامن في السؤال نفسه . ذلك ان للبلدان العربية اليوم كما في الامس ، وكما سيكون لها في الغد ، حاجات كثيرة يفرضها واقع الساعة . وليس من ادب يستحق هذا الاسم – فكيف اذا كان علماً من اعلام الادب – الا ويلبي حاجة او اكثر ، من هذه الحاجات . ولو لم يفعل ، لو لم يلصق حجراً في الاساس ، لو لم يزد لبنة في البناء ، لو لم يسد ثغرة في السقف ، لو لم يفتح كوة في الجدار ، لو لم ينقر على وتر من اوتار مجتمعه ويرجع صدى من اصدائه ، لتجاهله المجتمع وتركه او رماه في الظل ... ولما عده اديباً بين الادباء ، ثم علماً من الاعلام .

حاجات البلدان العربية ... من يستطيع ان يحصر هذه الحاجات ؟ اننا نكاد نكون في حاجة الى كل شيء ، الى كل ما يحويه ويوحيه اي لون ناجح من الوان الادب : تربية الذوق الجمالي ؛ الارتفاع نحو مثالية عملية تفسح للمناقب مجال ان تتحقق ؛ واقعية طاهرة تسمح للقول الجميل ان يصاهر العمل الجميل ؛تحرر فكري هو نقطة الانطلاق نحو التحرر من الجهل والفقر والمرض و... الاستعمار اذا شئتم ؛ احياء لغوي يحفظ جوهر اللغة وعبقريتها مع دفعها الى الجماهير اداة سائغة للتعبير ؛ تحقيق او تبسيط علمي ؛ يؤلف بين العقل العربي الحديث وبين العلم الحديث الخ ... الخ ...

وليس من علم بين اعلام الادب الشيوخ ، الا ويؤدي قسطه في سد واحدة او اكثر من هذه الحاجات . فلنقر لهم بالفضل ولا نتجن عليهم ، لئلا نرمى بنكران الجميل .

قد يرى ادباء الشباب الى حاجات اكثر الحاحاً وقد يطلبون اختصار الطريق الى الاصلاح . وهذا طبيعي ، وهذا هو حقهم فليثبوا فيه وليثبوا الارض نهباً ! لكن ليس عليهم، وليس لهم ان يكرهوا الشيوخ على الوثب والنهب... ولا ان يلوموهم اذا تخلفوا عن الركب ، ولا ان يتخذوا من وقوفهم حجة للوقوف . ان حقل الشباب هو غير حقل الشيخوخة ، وان اسوأ ما ينتظر امة من الامم ان يركض شيوخها ويجمد شبانها .

جواب الاستاذ محمد توفيق حسين

واقع البلاد العربية اليوم هو واقع استعمار اجنبي ، وتأخر اجتماعي واقتصادي، وتخلف ثقافي وحضاري محزن . وقد تعاونت قوى الظلم الخارجية والداخلية على استعباد الشعوب العربية، وهدر كرامة الفرد العربي الانسانية، وسحق حرياته وحقوقه الاساسية ؛ حريته في اعتناق الرأي الذي يشاء ، وفي التعبير عن هذا الرأي ، وفي اقامة الحكومة التي يريد . وحقه في العمل والحياة الانسانية المطمئنة السعيدة . وتريد البلاد العربية ان تخرج من هذا الواقع المظلم لتتحرر من سيطرة الاجانب ، وليعيش فيها الشعب ، كل الشعب، حياة انسانية ، متحضرة ، آمنة . ورسالة الادب العربي اليوم هي نقد كل عوامل التأخر والظلم ، والارشاد الى طريق الخلاص منها ، وفك قيود الجهل والخرافات والحذر الفكري والاستكانة الذليلة عن عقول الجماهير . رسالة الادب الحديث ان يربي في نفوس القراء الحقد المقدس على كل العوامل التي تذل شعبهم .

والحق ان اعلام الادب الشيوخ لا يؤدون رسالة الادب هذه . فما كان لمظلمهم رسالة وهم شباب ، ولقد اصبح معظم الذين كانوا في شبابهم ادباء متحررين، جامدين ، يستندون الواقع القائم ، رهبة من الحاكمين، او حرصا على مصالح اكتسبوها ، او فزعا من الوعي الشعبي الصاعد . الق نظرة على انتاجهم ترهم يعيشون في رومانتيكية القرن التاسع عشر ، او على مائدة التاريخ العربي القديم . وما تقوله عن الادباء الشيوخ يصح على معظم الادباء الشباب . فما زال معظمهم فرديين ، قابعين من ابراجهم العاجية ، غير مهتمين بآلام الشعب والبلاد . ولكن الادب الجديد ، ادب الشباب اصحاب الرسالة الاجتماعية الانسانية ينمو ، ويقوى نفوذه بين القراء ، وسيكون المستقبل له حتما .

جواب الاستاذ محمد يوسف نجم

- هذا السؤال يحتاج الى تفصيل وتخصيص . فما الذي نعنيه باعلام الادب الشيوخ ، ومن هم هؤلاء الاعلام ؟ ثم ، هل يفرض واقع المجتمع وحاجاته شيئا على الاديب ؟ ام ان الاديب ينتج نتاجه الانساني في حوض الحرية والعدالة ؟ وهل للاديب وظيفة اجتماعية معينة مشروطة ، ام انه يؤدي هذه

قرأت العدد الماضي من "الآداب"

بقلم

الدكتور شكري فيصل

تمضي « الآداب » نحو هذه الغايات التي تلمحها ، سواء في أدب القصة أو في أدب المقالة ، وسواء في هذا الشعر الغنائي او الدراسات العامة .. إن العدد الرابع مزيج متآلف من ذلك كله ، تعاورت صياغته هذه القصص المترجمة والمؤلفة ، قصص من واقعنا العربي ومن حياة الناس الانسانية في كل قطر ومصر .. وهذه المقالات والابحاث المختلفة حول موضوع أدبي او فكرة تاريخية .. وهذه الباقة الشعرية التي كانت تتوزع صفحاته في عبير حلو ونغم محبّب .. وتضامّت مع ذلك كله هذه الابواب المختلفة .. أبواب النشاط الثقافي في البلاد العربية والغربية ، والتعريف بالنتاج الجديد ، والاستفتاء حول نكسة الشعر .

والعدد بهذه المجموعات واسع الشمول ، ولكنه تخلّى عن جزء أضحى اساسياً في صميم ثقافتنا الأدبية أعني به هذه الحياة العلمية ، مقالاتها وانبائها ، في شيء من التبسيط الذي يحبب لهذا الجيل الناشيء ان يقبل على العلم ، فإن لم يقبل عليه دارساً له مستفيداً منه ، لم يقصر عن متابعته ولم يعش بعيداً في بيداء من الفكر ليس فيها إلا هذه الواحات المتناثرة هنا وهناك .

والواقع أنه ما من شيء آخر أحرى باهتمامنا في مجتمعنا العربي اليوم من هذه الثقافة العلمية .. وقد يبدو غريباً أن اقول ان هذا الواجب إنما يقع على الأدباء ، وان المجلة الأدبية — على الازمات التي تعانيها — هي وحدها التي تعيش في وسطنا القارىء ، وهي التي تحمل الى الجيل الجديد ثقافته وغذاءه ، وهي التي تحبب اليه هذا الاتجاه او ذاك .. ومقالة واحدة فيها قد تثير موهبة ، وقد تبعث اطلاعاً ، وقد تساعد على اتجاه .. وهي بهذا المعنى مسؤولة لا عن الحياة الادبية فحسب بل عن الحياة العلمية .. عن اشاعة روح العلم والاقبال عليه والايمان به كعنصر من عناصر الحياة .. مسؤولة عن ايقاظ المنطق العلمي في مناقشاتنا وافكارنا .. مسؤولة عن تصحيح مناهجنا واقامة مفاهيمنا .. وذلك كله لن يتأتى عن طريق المقالة او القصة او الشعر فحسب ، ولكنه في حاجة الى قدرٍ مثل ذلك من العلم وانبائه ، وكشوفه وارتياداته ، والآفاق البعيدة التي يضرب فيها والخير الكثير الذي يعود على

الوظيفة دون ان يشعر ، عندما يعيننا على فهم الحياة والأنسان ، وعندما يضطلع بتفسير الغوامض وجلاء المعميات ، وبذلك يوسع تجاربنا ، ويشق لنا سبلاً جديدة ، وبذلك تتوالد حياتنا ، وتتضاعف لحظات الأشراق والاستمتاع فيها .

اذا وقفنا من هذه الاسئلة جميعاً ، موقفا انسانياً عادلاً ، وقسمنا الادباء الى مبدعين ، وباحثين ، استطعنا ان نقول ، مجيبين على هذا السؤال ، إن الادب الإبداعي ، لا يفرض على الأديب شيئاً ، غير عمق الاحساس وصدق التعبير . والأديب يؤدي رسالته كاملة اذا إستطاع أن يفهم الحياة فهماً صحيحا ، وأن يتمثلها تمثلاً واعياً ، وأن يعبر عن تجاربه ، اثناء عمليتي الفهم والتمثل ، بامانة وإخلاص .

اما الكاتب الباحث ، ومجاله البحث الطويل ، والمقالة ، فيختلف عن الأديب المبدع في طريقة التعبير ، عن احساسه وتجاربه ، وان اشتركا في تجشم التجارب وتمثلها . إذ عليه أن يسوق اختباراته في اسلوب واضح جلي ، لا يخلو من التوجيه الصريح والوعظ الواضح ، وبهذا يؤدي وظيفته الاجتماعية ، كما نفهمها في استعمالنا الشائع اليوم .

ثم نعود إلى شيوخ أدبنا الحديث ، فنقول ، انهم حاولوا ، مبدعين ، أن يعبروا عن تجاربهم التي انتزعوها من واقع حياتهم ، ووفق اكثرهم ، بقدر ما أعانته الموهبة ، وهذا حسبهم . وفي أدب البحث ، ورجاله من الشيوخ كثر ، نجد ان الأغراض الاجتماعية واضحة بينة ، قوية في أكثر الأحيان ، وهم في ذلك ، يتناولون وجوها مختلفة من المجتمع ، ويصورونها وقد يتخلف بعضهم عن الركب ، وقد يسبق البعض الآخر ، الا انهم في كل ذلك صادقون مع أنفسهم ، مخلصون لمجتمعهم . فمجتمعنا اليوم ، مجتمع غير موحد ، ولا منسجم ، وفيه جوانب متعددة ، والوان متباينة ، تعرض لها ادباء البحث ، كل من زاويته الخاصة ، التي تحددها له تجاربه واختباراته الخاصة .

ثم نستدرك ونقول ، هل هنالك في مجالي الابداع والبحث أدب خير من أدب الشيوخ الأعلام ؟ قد لا أكون مخطئا إذا قلت : نعم : فنحن على أبواب نهضة أدبية شاملة ، يضطلع بها الأدباء الشبان ، ولكن المسرح لايزال مشغولاً بالممثلين القدامى . وهم يقدمون ، آخر ما يقدمون ، للممثلين الشبان ، دروساً مفيدة ومواعظ قيمة . والشبان ذوو مواهب وطاقات ، والشيوخ ذوو حكمة وتجارب ، وبتوفر الموهبة وإحاطة الحكمة لها ، وحدها عليها سنبلغ في أدبنا شأواً بعيداً .